بأم عيني: معرض للمصورة جوس دراي في المتحف الفلسطيني

في معرض "بأمّ عيني"، نُدعى إلى الغوص في عمق الزمن الفلسطيني الحيّ عبر عدسة المصوّرة الفرنسيّة جوس دراي، والتي تُعرّف عن نفسها بأنّها "مصوّرة مقاومة". في زمن كان الوقوف فيه إلى جانب فلسطين بمثابة انتحار مهني، تجرّأت دراي على توثيق فظائع الاحتلال، وتتبّع أعمال المقاومة الفلسطينيّة التي لم تهدأ في الأرض المحتلّة، وفي مخيّمات اللجوء في لبنان، مسجّلةً لحظات الصدق والجرأة، عبر شهادة بصريّة لمعاناة شعب لم يتوقّف عن الصمود تحت الاحتلال، بدءًا بمجزرة صبرا وشاتيلا، مرورًا بالانتفاضة الأولى المجيدة، وانتهاء بفترة أوسلو والانتفاضة الفلسطينيّة الثانية.

لم يكن خيار التقاط ما يجري بالصوت والصورة متاحًا دائمًا في حالتنا الفلسطينيّة، ما جعل حكايتنا عرضة للتشويه والإسكات والإنكار. ينطبق هذا على تهجيرنا الأوّل، عندما انشغل الناس بالنجاة عن الكتابة، وبسلامة الأبناء والأرواح عن التوثيق، وحين سُرقت حياتنا، وممتلكاتنا، والأدلّة على وجودنا في الصور والوثائق، أمام أعيننا.

في خضمّ حرب الإبادة على غزّة، قيل إنّ ما يجري على الأرض فاض على العالم بملايين المقاطع الصوتيّة والصور والفيديوهات التي تبدو وكأنّها مشاهد من أفلام الرعب! ولكنّنا، كفلسطينيّين، نرى الأمر من منظور آخر: ما يجري اليوم جرى بالأمس، وما نشاهده اليوم من عدسة الكاميرا، ما هو إلّا تكرار لماضٍ ظلّ مبهمًا، إلّا من بعض روايات كانت بالنسبة إلينا ضربًا من ضروب الخيال!

وإذا كنّا قد سمعنا حكايات النكبة والنكسة، وما بينهما من لحظات مصيريّة تاريخيّة، من جدّاتنا وأمّهاتنا، فإنّنا نرى تلك القصص اليوم مع كلّ صورة، وكلّ صرخة، وكلّ جسد مُسجّى، وكلّ حجر سقط فوق رأس ساكنيه، وكلّ هجرة إلى الجنوب، وكلّ نزوح في الخيام، وكأنّها تصوّر لنا قصّة لم نشاهدها، ولكنّنا حفظناها عن ظهر قلب.

ومع هذا كلّه، ليست فلسطين نصًّا واحدًا تراجيديًّا، لكنّها زمن تتداخل فيه ملايين القصص والحكايات الفرديّة والجماعيّة، التي نُسجت من تجارب المقاومة، والحياة المريرة والملهمة في آن، وهو تختزله أمامنا هذه الصور. يساعدنا هذا المعرض في محاولة فهم اللحظة الراهنة، والحدود اليوميّة بين العادي والملحمي، وما بينهما من طقوس للحياة والموت والانتظار. يضعنا المعرض أمام مشاهد قديمة جديدة، بلا تسلسل زمني أو خطّ روائي ناظم، لنقرأها كيفما نشاء، ومن أين نشاء، ولنفتح باب السؤال حول أيّ المنعطفات القادمة سيحملنا إلى الحريّة.

بأم عيني: معرض للمصورة جوس دراي في المتحف الفلسطيني

هذا المعرض ليس مجرّد مجموعة من الصور الفوتوغرافيّة، إنّه أرشيف حيّ لعلاقة متداخلة ما بين الماضي والحاضر، نعيد به فهم الماضي وتصوّر المستقبل، اللّذَين يدوران في دائرة "لا تبدأ إلّا لتنتهي، ولا تنتهي إلّا لتستمرّ" كما يقول غسّان كنفاني.

الكاتب: أخبار